قيم الأمن والسلام ونبذ الإرهاب في تعاليم الأديان الإلهية ومسيرة الأنبياء عليهم السلام

الشيخ معين دقيق[1]

مدخل:

لا شكّ أنَّ الأمن والسلام يأتي على رأس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام وجميع الأولياء الذين لهم ارتباطٌ بوحي السماء، وقد برز هذا الأمر المهمّ في تصرُّفاتهم بشكلٍ واضح، وانعكس ذلك على أتباعهم الحقيقيين؛ بما لكلمة الاتّباع من مدلولٍ حرفيٍّ دقيق.

وعندما نتكلّم عن الأديان الإلهية بصيغة الجمع فلا يعني ذلك تعدُّد المصدر؛ لأنّ التوصيف بالإلهية يرفض هذا التعدّد المصدري، ويعني أنَّ الأديان الإلهية ترجع حقيقةً إلَى دينٍ واحدٍ نابعٍ من مصدرٍ واحدٍ، هو الله تبارك وتعالى.

وإنّما نشأ التعدُّد الجمعي من تعدُّد الظرف الزماني من جهةٍ، ومن تكثُّر المرسَل والمرسَل إليهم من جهةٍ أُخرى، واختلاف الحاجات المتلائمة مع ذلك الظرف الزماني الخاص من جهةٍ ثالثة.

وهذا يعني أنَّ أيّ فكرةٍ من الأفكار العامّة إذا جاءت على لسان رسول، فهي كذلك في تعاليم الآخر؛ لأنّ المنهل الصافي والمنبع الزلال لا تتعدّد

(١) أستاذ في الحوزة العلمية، وعضو الهيئة العلمية في جامعة المصطفى العالمية، من لبنان.

فيه المشارب، ويمكن أنْ نعبّر عن ذلك بقولنا ـ وإنْ خالفنا اصطلاح العرفاء ـ : لا تكرار في التجلّي...

ومفردة الأمن والسلام لم تشذّ عن هذه القاعدة؛ ولذا رأينا مظاهرها في مسيرة الأنبياء عليهم السلام على الرغم من قلّة المادّة الواصلة إلينا بالنسبة إلَى معظمهم.

وهذا ما يفسِّر الانسجام الكلّي العامّ في مواجهة الأنبياء عليهم السلام للظلم والظالمين؛ بغية إرساء الأمن والسلام في المجتمعات البشرية، الذي تكرّس في المجتمع الإنساني؛ بوصفه مجموعة من الثوابت التي يجب أن تسير الإنسانية وفقها، ومن المفترض أنّ من يحيد عنها يبتعد عن منهج الأنبياء عليهم السلام وتعاليم رسالاتهم السماوية.

ووفق هذا المعيار يمكن تفسير كلّ ما قامت به أقوام الأنبياء عليهم السلام عبر التاريخ؛ من إيذاء وظلم الآخرين، وما يقوم به الكثيرون في العصر الراهن؛ من اعتداء على الأرواح والمقدّسات... باسم الدين أيضاً، وليتّضح لنا أنَّ تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، المستقاة من منبعٍ واحدٍ، بعيدةٌ كلّ البعد عن هذه الأفعال الهمجية، التي يرفضها العقل والفطرة السليمة والعرف والدين، والتي لا يرضى بها مَنْ كان له قلبٌ سديدٌ، ومن ألقى السمع وهو شهيد.

ولمّا كان البحث عن مظاهر الأمن والسلامِ في مسيرة الأنبياء عليهم السلام وأصحاب الرسالات عليهم السلام من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى كان استعراض هذه المظاهر عند جميع الأنبياء عليهم السلام ؛ مِمّا يطول به البحث من دون أيّ داعٍ، بعد ما تقدّم من وحدة المنبع الذي يستقي منه الأنبياء عليهم السلام ، فلا بدّ من حصر البحث في بعض المفردات الموجودة عند بعض الأنبياء البارزين عليهم السلام .

وقد جاءت هذه المقالة للإجابة عن سؤال أساس يمكن بيانه، وفق التالي:

كيف ندلّل على مظاهر الأمن والسلام ونبذ الإرهاب -بعد تحديد المفهوم - في مسيرة بعض الأنبياء عليهم السلام ؟

وهذا السؤال الأساس تتفرّع عليه أسئلة ثلاث، هي:

١. ما هي القراءة الواضحة للمفردات التالية: الأمن، السلام، الإرهاب؟

٢. ما هي مظاهر الأمن والسلام عند أب الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام؟

٣. ما هي مظاهر ذلك في مسيرة النبي موسى عليه السلام؟

وتكمن الإجابة عن هذه الأسئلة في طيات ما سنورده في هذه المقالة.

تحديدات مفهوميّة:

لمّا كانت المفردات المفتاحية لهذه المقالة عبارة عن: الأمن، السلام، الإرهاب؛ كان لا بدّ لنا من شرحٍ لهذه المفاهيم الثلاثة؛ إذ كثيراً ما يقع النفي والإثبات بلحاظ مفردةٍ معيّنة، مع كون كلٍّ من المثبت والنافي يقصد من المفردة غير ما يقصد منها الآخر، فيعود النزاع لفظياً ولا يكون حقيقياً.

بل كثيراً ما تلعب السياسة والأطماع دوراً فاعلاً في حرف المفاهيم عن معانيها؛ ليتمّ إدخال المصاديق الداخلة تحت المفهوم المقابل في مقابله.

وهذا الأمر تجلّى بوضوح أكثر في مفردة الإرهاب، والإنصاف يقتضي أنَّ النزاع غالباً لا يكون في المفهوم، وإنّما في درج مصاديق وإبعاد مصاديق أخرى.

ولكن، لمّا كان البحث المفهومي - خصوصاً في مفردة الإرهاب - وبيان سعة صدق المفهوم أو ضيقه، هي لوحدها بحاجةٍ إلَى مقالة مستقلة، لو أردنا أنْ نفصّل فيها لخرجنا عن الهدف الرئيس المقصود لنا في هذه المقالة؛ لأجل ذلك سوف أختصر - قدر المستطاع-، مع التركيز على ما ينفع للوصول إلَى النتائج المرجوّة، والمتناسبة مع العنوان المبحوث عنه في ضمن المحاور المتقدّمة.

• **الأمن:**

وردت هذه الكلمة في لغة العرب في معنى يقابل الخيانة، قال ابن فارس: «**أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر: التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان. قال الخليل الأمنة من الأمن. والأمان إعطاء الأمنة. والأمانة ضد الخيانة. يقال: أمنت الرجل أمناً وأمنةً وأماناً وآمنني يؤمنني إيماناً. والعرب تقول رجل أمان إذا كان أميناً**»[١].

• **السلام:**

وهي كلمةٌ مأخوذة من السلم، وهي كلمةٌ ثلاثية جاءت معظم استعمالاتها بمعنى الصحة والعافية، فالسلامة: أنْ يسلم الإنسان من العاهة والأذى، وقال أهل العلم: الله جلّ ثناؤه هو السلام؛ لسلامته ممّا يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٢]، وقال -تعالى- أيضاً: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٣]. ومن الباب أيضاً: الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنّه يسلم من الإباء والامتناع. والسلام: المسالمة[٤].

هذا هو المقصود من هاتين الكلمتين في أصل اللُّغة، وأمّا في الاصطلاح السياسي المعاصر، فالظاهر أنَّ المراد من هاتين الكلمتين لا يتجاوز المعنى اللغوي لهما، فيُراد منهما ما يرادف في اللغة الأجنبية كلمة (Peace)، وهو يعني أنْ تعمّ الطمأنينة والاستقرار والهدوء في بلدٍ أو منطقةٍ، وقد يكون ذلك على المستويات المتعدّدة: السياسية، والعسكرية،

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام مُحَمَّد هارون، قم المقدّسة، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.ق، ج١، ص ١٣٣.
(٢) يونس: ٢٥.
(٣) الأنعام: ١٢٥.
(٤) يُراجع: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، ص٩٠.

والاجتماعية، والاقتصادية. وما دام المعنى الاصطلاحي من المفاهيم الواضحة؛ فنكتفي بهذا المقدار.

- **الإرهاب:**

وهو مأخوذ من كلمة (رهب)، قال ابن فارس: «**رهب: الراء والهاء والباء أصلان، أحدهما: يدلّ على خوف، والآخر على دقّة وخفّة. فالأوّل: الرهبة، تقول: رهبت الشيء رهباً ورهباً ورهبة. والترهّب: التعبّد. ومن الباب، الإرهاب: وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها. والأصل الآخر، الرهب: الناقة المهزولة. والرهاب: الرقاق من النصال وأحدها رهب. والرهاب: عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان**»[1].

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2]، أي: توقعون الخوف في قلوب أعداء الله تعالى وأعدائكم.

وأمّا في الاصطلاح، فقد ذُكِرَت تعاريف متعدّدة، دخلت السياسة والمصالح الخاصّة في تكوينها، ويمكن الإشارة إلى نوعين من الإرهاب، هما: الإرهاب الابتدائي والإرهاب المضادّ.

ونقصد بالإرهاب المضاد ما يصدق على نوعين:

١. الإرهاب الوقائي والردعي، والذي يكون لمنع الإرهاب، وهو الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾، فإنّ الدولة والجماعة التي تعدّ نفسها عسكرياً وتكنولوجياً وثقافياً وغير ذلك من وسائل القوّة، توقع الرعب والخوف في قلب من تسوّل له نفسه الاعتداء عليها.

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، ص٤٤٨.
(٢) الأنفال: ٦٠.

٢. الإرهاب الدفاعي، وهو الإرهاب الذي يصدر من المُعتَدَى عليه، ويكون ردّة فعلٍ على الإرهاب الابتدائي الذي يمارسه المعتدي، بقصد الدفاع عن النفس والإبقاء على الحياة، وهو ما يعبّر عنه في أدبيّات الفقه الإسلامي بالجهاد الدفاعي، وفي أدبيّات المسيحية بالحرب العادلة.

وهذه التسمية نظير إطلاق المكر على ردّ المكر أو مجازاته، كما قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

ومسبقاً نقول: إنَّ الإرهاب المضاد بكلا نوعيه لا ينبغي أنْ يدخل ضمن الإرهاب المذموم والمبحوث عنه، ولكن لا بدّ لنا من أساس، من خلاله نعرف الداخل في المفهوم المذموم من الخارج.

هذا، والأساس الذي نتّخذه مقياساً لمعرفة ذلك هو الفطرة السليمة المبتني عليها العقل الجمعي وسيرة العقلاء، والتعاليم الدينية.

وهذه الأمور بأجمعها تفرّق بين الإرهاب الذي يشكّل اعتداءً على كرامة شخصٍ أو جماعةٍ أو أمّة أو دولة، وبين الإرهاب الذي ينطلق من رفض الذلّ، ومقاومة الاعتداء، والإعداد الذي يشكّل رادعاً لكلّ من تسوّل له نفسه الاعتداء. فالأوّل تراه قبيحاً مذموماً، والثاني تراه حسناً ممدوحاً.

ولذا جعل القرآن الكريم في القصاص حياةً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]؛ حيث إنَّ القاتل إذا عَرِف أنَّه باعتدائه على حياة الناس سوف يُجازى أشدّ المجازاة، فإنّ ذلك يردعه عن الإقدام على ارتكاب جريمته، وفي ذلك حياة له وحياة لمن يُريد أن يعتدي عليه؛ ولذا نُكِّرت كلمة الحياة في الآية للإشارة إلَى تعظيم الحياة، وهذه الحياة العظيمة هي الحياة التي تنعم بها المجتمعات التي تتبع سنّة العقوبة المناسبة عند الجرم، فليتأمّل أولوا الألباب؛ لعلّهم يصلون إلَى مقام التقوى.

(١) الأنفال: ٣٠.
(٢) البقرة: ١٧٩.

مظاهر الأمن والسلام عند خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

إبراهيم عليه السلام من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، والذي برزت محاربته للشرك، ودعوته إلى التوحيد بمظاهره المختلفة في القرآن الكريم.

هذا النبيُّ عليه السلام الذي غدا «**أسوة حسنة**» لكلّ الأجيال، قد انعكست في دعوته ومسيرته مسألة الأمن والسلام بشكلٍ واضح وملموس، وسوف نُشير إلى ذلك في ضمن البحث عن الآيات التالية:

ـ التلازم بين الأمن والسلام، ورغادة العيش والتطوّر الاقتصادي:

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

حيث نلاحظ في الآية الأولى، من هاتين الآيتين، أنَّ الله -سبحانه وتعالى- جعل بيته العتيق مثابةً ومرجعاً للناس - كلّ الناس -، يتمتّعون فيه بالأمن والطمأنينة النابعة من ذكر الله -تعالى- في بيته: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]، ويعهد إلى إبراهيم وابنه عليهما السلام أن يطهّرا هذا البيت الآمن من كلّ لوثةٍ ماديةٍ أو معنوية.

وفي الآية الثانية يطلب خليل الرحمن عليه السلام من ربّه -تبارك وتعالى- لهذا البلد، الذي فيه البيت العتيق، أنْ يمنَّ عليه بنعمتين:

الأُولى: الأمن والسلام.

الثانية: الرزق.

(١) البقرة: ١٢٥-١٢٦.
(٢) الرعد: ٢٨.

وتقديم الأمن على المنح الاقتصادية فيه إشارة إلَى أنَّ الاقتصاد السالم لا يتحقّق إلَّا بعد الأمن الكامل[١].

وفي الجمع بينهما إشارة إلَى أنَّ جذب كلّ بلد (دولة) للناس لا يكون إلَّا بعاملين: السلم والأمن، والرفاهية الاقتصادية.

من هنا، فإنّ النبي إبراهيم عليه السلام في دعوته في خصوص المكان الذي اتّخذه موطناً وملجأ، لم يطلب الزعامة، ولم يطلب السيطرة، ولم يطلب للناس كلّ الناس إلَّا أنْ يعيشوا في أمن وسلام ورفاهية اقتصادية، يستطيعون من خلالها أنْ يتفرّغوا لعبادة ربّهم في كلّ مجالات العبادة؛ بما فيها خدمة الخلق. حتى الكافر بأنعم الله وآلائه نجد أنَّ الباري -عزّ وجلّ- قد اكتفى بإيكال أمره إليه تعالى بعد تنعيمه في هذه الدار الفانية قليلاً. وفي هذا تأكيد على نبذ الإرهاب وترغيب في الأمن والسلام.

ـ الحثّ على طلب العلم والتزكية للآخرين؛ بوصفهما من أركان الأمن والسلام الاجتماعيين:

قال الله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].

إنّ خليل الرحمن عليه السلام بعد أن استتبّ له الأمر بمكّة، طلب من الله أنْ يبعث في مثل هذه الأُمّة رسولاً يهديهم، ويتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، ويربّي نفوسهم على الخير والعطاء.

وهذا الطلب يتضمّن تمام الرحمة والعطف والحنان بالأجيال القادمة بعد قرون (التي تسمّى بالأُمّة المسلمة؛ لا لكونها مسلمة وكاملة قبل بعث ذلك الرسول، وإلا لما احتاجت إلَى رسولٍ يتلو عليها آيات الله، ويعلمها الكتاب والحكمة، ويزكيها)

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط١، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.ق، ج١، ص٣٨٠.

(٢) البقرة: ١٢٩.

ـ الطاعة والانقياد للأوامر الإلهيّة:

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

فالمتديّن الكامل هو ذلك الإنسان الذي أسلم وجهه لله، وانقاد له في كلّ خطواته وسكناته، ولم يكن متّبعاً للغير، ولم يكن منفّذاً لأجندة الدول المستكبرة، بل لا بدّ أنْ يكون محسناً في عمله، ومتّبعاً لملّة إبراهيم عليه السلام، هذه الملّة المائلة عن الزيغ والضلال إلى الهدى والحقّ.

ـ احترام حقّ الرحميّة:

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[2].

ويتجلّى في هذه الآية أدب النبي إبراهيم عليه السلام من خلال استغفاره لأبيه غير الوالد، على الرغم من كونه على غير ملّته، وعندما تبيّن له أنَّ أباه آزر - بحسب ما ورد في الآية - معادياً لله ومحارباً، امتنع عن الاستغفار له، لا أنَّه أقدم على قتله وأذيّته.

من هنا، فإنّ مجرّد الاختلاف في الفكر والدين والمذهب قد لا يتنافى مع الدعاء؛ احتراماً لحقّ الرحم، وإنّما يمنع من الدعاء العداوة لله تعالى، والعداوة تدعونا إلَى البراءة من الفعل والاعتقاد، لا أنَّها توجب ممارسة الإرهاب على الغير. وليس ذلك إلَّا لأنّ إبْراهِيمَ أَوَّاهٌ حَلِيمٌ، أيْ: إنّه كثير الدعاء والبكاء، صبور على الأذى، صفوح عن زلّات غيره.

(١) النساء: ١٢٥.
(٢) التوبة: ١١٤.

ـ الحثّ على الرأفة والرحمة بالآخرين وطلب الخير لهم:

قال الله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[1].

هاتان الآيتان من الآيات المهمّة جداً في بحثنا، وفي إثبات أنَّ النبيّ العظيم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام كانت عاطفته الإنسانية، ورأفته الأبوية، وحرصه على الإنسان - أيّ إنسان -؛ في أعلى مراتبها.

فالآيتان تحدّثنا عن أنَّه لمّا ذهب عن إبراهيم عليه السلام ما اعتراه من الخيفة؛ بتبين أنَّ النازلين به لا يريدون به سوءً ولا يضمرون له شراً. وجاءته البشرى بأنّ الله سيرزقه وزوجه إسحاقَ ومن وراء إسحاق يعقوب، أخذ يجادل الملائكة في قوم لوط عليه السلام؛ يريد بذلك أن يصرف عنهم العذاب.

والآية الثانية مسوقة لتعليل المجادلة في الآية الأُولى، وفيها مدح بالغ لإبراهيم عليه السلام، وبيان أنّه إنّما كان يجادل فيهم؛ لأنّه كان حليماً لا يعاجل نزول العذاب على الظالمين؛ رجاء أن يأخذهم التوفيق؛ فيصلحوا ويستقيموا، وكان كثير التأثّر من ضلال الناس، وحلول الهلاك بهم، مراجعاً إلى الله في نجاتهم. لا أنّه عليه السلام كان يكره عذاب الظالمين، وينتصر لهم؛ بما هم ظالمون، وحاشاه عن ذلك[2].

وقد يعتقد البعض أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يجادل في خصوص لوط عليه السلام ومن آمن معه، لا في قومه الكافرين، ويستدلّ على ذلك بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[3].

(١) هود: ٧٤-٧٥.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ط٥، قم المقدّسة، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤١٧هـ.ق، ج١٠، ص ٣٢٦.

(٣) العنكبوت: ٣١-٣٢.

وهذا الاعتقاد فاسدٌ من جهتين:

الأُولى: أنَّ الاستشهاد بالآيتين في سورة المجادلة لا يدلّ عليه؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ لا يدلّ على أنَّ المجادلة من بدايتها كانت في خصوص لوط عليه السلام؛ إذ لعلّه في البداية ناقش في الجميع، ثمّ عندما رُفض اقتراحه ذكّرهم بوجود لوط عليه السلام فيها. ويمكن أنْ يستفاد ذلك؛ بما ورد في الخبر، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ أَرْبَعَةَ أَمْلَاكٍ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَكَرُوبِيلَ (...) فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: لِمَاذَا جِئْتُمْ؟ قَالُوا: فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ فِيهِمْ مِائَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُهْلِكُونَهُمْ؟ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا ثَلَاثُونَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عِشْرُونَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عَشَرَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا وَاحِدٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنَّ فِيهَا لُوطًا؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: قَالَ لَا أَعْلَمُ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَبْقِيهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ**»[1]. وعلّق العلامة المجلسي على قول الحسن بن علي: «**الحسن بن علي؛ أي ابن فضال كما سيظهر ممّا سنورده من سند الكافي، أيْ: أظنّ أنَّ غرض إبراهيم عليه السلام كان استبقاء القوم والشفاعة لهم، لا محض إنجاء لوط عليه السلام من بينهم**»[2].

الثانية: أنَّ هذا الاعتقاد لا يتناسب مع الآية الواردة بعد الآيتين اللتين هما محلّ الكلام من سورة هود، وهو قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ

(١) الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٣٦٧هـ.ش، ج٥، كتاب النكاح، باب اللواط، ح٦، ص٥٤٧.

(٢) المجلسي، محمَّد باقر: بحار الأنوار، بيروت، نشر مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٤هـ.ق، ج١٢، ص١٦٩.

مَرۡدُودٍ﴾[1]؛ إذ لو كان إبراهيم عليه السلام يجادل في إنجاء لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين؛ لما صحّ أنْ يؤمر بالإعراض؛ لأنّ المفروض أنَّه قد تمّ إنجاء لوط ومن معه من المؤمنين، كما يدلّ ما تقدّم في سورة العنكبوت.

- الحرص على تحقيق هدف الإصلاح والهداية:

قال الله -تعالى-: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾[2].

التأمُّل في هذه الآيات يعطينا أنَّ اختلافه عليه السلام مع قومه ومع أبيه لم يجعله ينسى وظيفته تجاههم؛ بوصفه إنساناً ونبيّاً، على الرغم من كون هذا الخلاف ليس في مسألةٍ جزئيّةٍ من مسائل الدين، بل هو أمرٌ يرتبط بأساس العقيدة وجوهرها، وهو: التوحيد. فتحدثنا هذه الآيات عن حرصه عليه السلام لهداية أبيه وقومه، وعند عدم تقبّلهم لدعوته ولعطفه عليهم، غاية ما قام به أنِ اعتزلهم، مع وعده بطلب المغفرة.

وفي هذا المقدار كفاية لبيان مظاهر الأمن والسلام ونبذ الإرهاب في مسيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

(١) هود: ٧٦.
(٢) مريم: ٤١-٥٠.

مظاهر الأمن والسلام عند كليم الرحمن موسى عليه السلام:

من أنبياء الله العظام عليهم السلام، والذي تنتسب إليه الديانة اليهودية، موسى الكليم عليه السلام، وهو أكثر الأنبياء عليهم السلام تناولاً في القرآن الكريم؛ إذ لا تخلو أكثر السور الطوال عن ذكر له، فقد ذُكِر في (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، مريم، طه، الكهف، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الشعراء، النمل، السجدة، القصص، السجدة، غافر، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، و...). وقد ورد في بعضها - على نحو التفصيل - ذِكْر لأهمّ مفاصل حياته ومسيرته.

وفي ضمن قراءةٍ مختصرة لبعض الآيات التي تناولت مسيرة هذا النبيّ العظيم عليه السلام نستخلص أهمّ المحطّات التي تدلّل على ممارسة الأمن والسلام؛ وذلك في ضمن الاستعراض التالي:

- **النهي عن ممارسة الإرهاب وإثارة الفساد في الأرض:**

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]. حيث إنّ القرآن الكريم، في سياق تذكير بني إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم، ذكر هذه النعمة العظيمة من النعم التي أغدقها عليهم؛ لأنّ بني إسرائيل كانوا في أمسّ الحاجة إلَى الماء، وهم وسط صحراء قاحلة، فاستسقى لهم موسى عليه السلام، واستجاب الله تعالى لطلبه، وأمره أنْ يضرب الحجر بعصاه، فانفجرت اثنتا عشرة عيناً؛ بعدد قبائل بني إسرائيل، بحيث كانت كلّ قبيلةٍ منهم تعرف العين التي تخصّها.

وبعد تذكيرهم بهذه النعمة العظيمة التي أغدقها عليهم، وهم في أشدّ الحاجة لها، أمرهم عن طريق كليمه موسى عليه السلام بأنْ يجتنبوا الفساد في الأرض.

(١) البقرة: ٦٠.

وهذا المقطع من مسيرة موسى عليه السلام ذُكِر في العهد القديم الموجود، ففي سفر الخروج: «**فقال الربّ لموسى: مرّ قدّام الشعب، وخذ معك من شيوخ إسرائيل. وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل**»[1].

وكيف كان، فيستفاد من هذا المقطع من مسيرة موسى عليه السلام أنَّ استتباب الأمن والسلام في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات بحاجةٍ إِلَى مكوّنات ثلاثة:

١. تهيئة حاجيّات المجتمع، خصوصاً على الصعيد الاقتصادي، وبالأخصّ في الأمور التي يحتاجها المجتمع بشكلٍ دائم، من قبيل: المأكل، والمشرب، والمسكن؛ لأنّ ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحلول الأمن والسلام واستتبابه. ويدلّ على هذا الأمر في الآية المتقدّمة تأخير النهي عن الفساد عن تأمين حاجة بني إسرائيل إِلَى الماء، وترتيب النهي على ذلك.
٢. إِنَّ هذه الحاجيّات العامّة لا ينبغي أنْ يُقتصر في تأمينها على الذين يسيرون في رحاب إطاعة الله تعالى، بل ينبغي أنْ تؤمّن للناس، كلّ الناس. وهذا ما يستفاد من كلمة: (لِقَوْمِه)، دون أنْ يقول: (لأتباعه) أو (لشيعته) أو (للمؤمنين بالله تعالى)، أو نحو ذلك.
٣. إنَّ مجرّد تأمين الحاجيات الاقتصادية لا ينفع في ابتعاد الناس عن الفساد والإرهاب، بل لابدّ بعد تأمينها من تنظيم أمر توزيعها، كما يستفاد ذلك من قوله -تبارك وتعالى-: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.

فكم من دولة في العالم لديها حدّ الكفاية لشعبها، من ناحية ما يحتاجون إليه من إنتاجاتها وثرواتها الداخلية، ولكنّ سوء التوزيع يلعب دوراً بالغاً

(١) الكنيسة: الكتاب المقدّس (العهد القديم)، نشر دار الكتاب المقدّس، ١٩٨٠م، ص١١٥.

في عدم وصول هذه الإمكانيات إلَى جميع أفراد الشعب؛ فيؤثّر ذلك في إيجاد نظام طبقيٍّ في المجتمع، يشقى فيه جماعةٌ على حساب جماعةٍ أخرى؛ ليدخل المجتمع من خلال ذلك في حالةٍ من انفصام الشخصيّة، بل وانمحاقها؛ ممّا يؤدّي إلَى بروز الأمراض الاجتماعية والنفسية التي هي المبدأ لكلّ فساد وعثوٍّ في الأرض.

- **أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالقول الحسن والكلمة الطيّبة:**

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1].

ومحلّ الشاهد فيها قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ الوارد في سياق الموارد التي أخذ الله تعالى ميثاقه من بني إسرائيل فيها، عن طريق نبيّه عليه السلام، والميثاق المأخوذ من بني إسرائيل في هذا المورد ليس مجرّد أنْ يصدر منهم القول الحسن والكلمة الطيّبة في حقّ من كان من جماعتهم، أي: إسرائيلياً مثلهم؛ لأنّ هذا التخصيص لا تعطيه مفردة (الناس) الواردة في الآية، بل لا بدّ لكي يحصل تطبيق الميثاق في هذه المفردة من أنْ يكون القول الحسن والكلمة الطيّبة منهاجاً متّبعاً في حياتهم في حقّ الناس، كلّ الناس.

فالآية في مقطعها هذا، قد رسمت لبني إسرائيل خطّ التعامل مع كلّ ما يسمّى غيراً؛ سواء كان من ملّتهم أم من غيرها، في مختلف علاقاتهم مع هذا الغير؛ سواء منها العلاقات الشخصية، أم الاجتماعية، أم الاقتصادية، أم السياسية، أم المذهبية، والفكرية، بحيث تكون الكلمة الطيّبة، والقول الحسن، والأسلوب الجميل، والانفتاح المقبول، هي الأساس لكلّ هذه العلاقات.

(١) البقرة: ٨٣.

وهذا ما يؤدّي إلَى تقوية الروابط بين الناس، والابتعاد عن كلّ معاملةٍ تنفّر وتوقع العداوة في المجتمع. وقد ورد في الخبر، في سياق الكلام عن هذا المقطع من الآية، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «**في قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. قَالَ: قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تُحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ فِيكُمْ**»[1].

ولا يخفى أنَّ الكلمة الطيّبة والقول الحسن وردا بعد الأمر بالإحسان إلَى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وهم شريحة معتدٌّ بها من المجتمع، خصوصاً المساكين والطبقة المستضعفة، فإنّه بالإحسان إليهم من قِبل الطبقة المرفّهة يؤدّي ذلك إلَى عدم نظرة الطبقة الدانية إلَى الطبقة العليا نظرة الحقد والانتقام، الأمر الذي يخفّف من أنواع الجرائم التي تصدر من أمثال هؤلاء، وفي هذا سلامٌ وأمنٌ لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد.

ولكنّ بني إسرائيل لمّا لم يمتثلوا هذا الميثاق المأخوذ عليهم، كَثُر بينهم الفساد والاعتداء والأعمال المصنّفة في ضمن دائرة الإرهاب المذموم، فأدّى بهم الأمر إلَى ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2].

- **إنجاء الناس من إرهاب السلطة:**

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[3].

من النعم التي أنعم الله تعالى بها على بني إسرائيل بإرسال موسى عليه السلام لهم، أن أنجاهم مِمّا كان يقوم به جلاوزة فرعون، من إذاقتهم

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاهتمام بأمور المسلمين، ح١٠، ص١٦٥.
(٢) البقرة: ٨٥.
(٣) إبراهيم: ٦.

لألوان العذاب؛ من قتل الأولاد، وإذلال النساء، الأمر الذي كان يسبّب لهم البلاء العظيم.

فإذا كان أحد أهداف بعثة نبيٍّ من أنبياء الله العظام عليهم السلام هي النجاة من الإرهاب الممارس من قبل السلطة، وهؤلاء الذين كان يقع عليهم الإرهاب هم جماعةً مستضعفة، ربما يكون الكثير منهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام بعدُ، أو حتّى لم يسمعوا به، إذا كان الأمر كذلك، فكيف يحقّ للبعض في زماننا أنْ يفهم من الدين تجويزه لقتل من يؤمن بالله، ويصلّي إلَى القبلة؛ لمجرّد أنَّه يختلف معه في بعض الأفكار.

- **اعتماد لين القول، حتى مع طغيان الآخر وإرهابه:**

قال الله -تعالى-: ﴿ٱذۡهَبَآ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1].

حيث إنّ خطأ العقيدة مع اعتقاد الناس صحتها لا يدعو إلى قتلهم دون إتمام الحجة عليهم وبيان طريق الهداية لهم؛ لذا فإنّ النبي موسى عليه السلام ومعه أخيه النبي هارون عليه السلام، حملا دعوة الدين والإبلاغ إلى فرعون رغم طغيانه وتكبّره وادعائه الربوبية: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]،معتمدين في دعوتهما لين القول: ﴿قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾!!.

- **التأكيد على الإصلاح وعدم اتّباع سبيل المفسدين:**

من مظاهر الأمن والسلام في مسيرة كليم الله موسى عليه السلام ما تحدّثنا عنه بعض الآيات، من أنَّه عندما ذهب إلَى ميقاته المضروب مع ربّه تبارك وتعالى، استخلف أخاه هارون على قومه، وأوصاه بالإصلاح بينهم، والمشي فيهم بطريقة أهل العدل، واجتناب سنّة المفسدين في الأرض.

قال الله -تعالى-: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي

(١) طه: ٤٢-٤٣.
(٢) النازعات: ٢٤.

فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١]. ويستفاد هنا، التأكيد على الإصلاح واتّباع طريق العدل بين الناس؛ من كون هارون عليه السلام نبياً مرسلاً؛ فيستحيل في حقّه أنْ لا يكون حكمه بين قومه بالإصلاح والعدل، ولكن لأهمّيّة هذا الأمر أكّد عليه موسى عليه السلام من جهة، ولكي يعرف الناس أنَّ ما يصدر من هارون عليه السلام هو لمصلحتهم؛ لأنّه ناشئ من قصد الإصلاح وإجراء العدل بينهم.

شبهةٌ وجواب:

قد يُقال: إنَّ ما ذُكِر من مظاهر الأمن والسلام في مسيرة موسى الكليم عليه السلام يتعارض مع ما ورد في القرآن عنه، من قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[٢]؛ فإنّ قتل موسى عليه السلام للرجل المخالف له: من أبرز مصاديق تحليل القتل لأجل الاختلاف في الرأي والعقيدة، الذي أُطلق عليه اسم الإرهاب المذموم.

وعليه، فما تقوم به الفرقة المسمّاة بالتكفيريين له ما يبرّره في مسيرة موسى الكليم عليه السلام، والقتل هو القتل، وإنْ اختلفت وسائله؛ إذ ما دام فعل موسى المعصوم عليه السلام يدلّ على جواز القتل لمن كان من غير شيعتك، وكان مخالفاً لك في الرأي والعقيدة، فلا يفرّق في ذلك بين أنْ يكون بالوكز كما فعل موسى عليه السلام، وبين أنْ يكون بالسلاح أو المتفجرات كما يفعلون في زماننا.

وهذه الشبهة يمكن الإجابة عنها بجوابين، يختلفان في المبنى كما سيتّضح:

(١) الأعراف: ١٤٢.
(٢) القصص: ١٥.

الجواب الأوّل: وهو يبتني على الاعتقاد بأنَّ الأنبياء عليهم السلام ليس من الضروري أنْ يتّصفوا بالعصمة في جميع أعمالهم وحركاتهم، بل هم معصومون مسدّدون في ظرف كونهم في مقام تبليغ الأحكام.

وعليه، فإذا بنينا على أنَّ موسى عليه السلام في هذا الفعل، الذي عقّبه؛ بوصفه أنَّه من عمل الشيطان، كان عاصياً؛ فليس لأحدٍ حينئذٍ الاقتداء به فيه. فإنّ موسى عليه السلام ـ بناء على هذا المبنى والفهم السطحي ـ قد تكشّف له خطؤه؛ فيكون تقليده به ـ مع اعترافه ببعده عن الصواب ـ تقليداً بأمر غير مشروع.

فيكون قول موسى عليه السلام المحكي في الآية: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ – في مقام توصيف الفعل الذي صدر منه – صادراً في مقام التبليغ، المقتضي لكونه معصوماً في أدائه؛ بحسب المبنى المشار إليه، فهو الواجب الاتّباع، لا العمل الموصوف به.

وعليه، يكون قياس ما يفعله التكفيريُّون في أيامنا هذه على ما قام به موسى الكليم عليه السلام قياساً مع الفارق؛ حيث إنَّ موسى عليه السلام قد اعترف بخطئه، بينما التكفيريُّون يصرُّون على أعمالهم التي هي من عمل الشيطان.

الجواب الثاني: وهو يبتني على الاعتقاد بعصمةِ الأنبياء في كلّ أفعالهم، وتمام مسيرتهم، قبل بعثتهم وبعدها.

وأصحاب هذه النظريّة المنصورة في محلّها، يفهمون الآية المشار إليها بطريقةٍ لا تجعل عمل موسى عليه السلام مبرّراً لما يقترفه التكفيريون في عصرنا الحاضر، وحاصل الكلام في ذلك:

في ذات يوم، وقبل بعثة موسى عليه السلام دخل إلَى مصر، ومشى في شوارعها من دون أنْ يشعر به أحد، فرأى رجلين يتشاجران ويقتتلان، وكان أحدهما قبطياً من أتباع فرعون، ويقال: إنَّه من العاملين في مطبخه، والآخر إسرائيلياً من جماعة موسى عليه السلام. وقد كان الأقباط آنذاك بوجه

العموم يضطهدون الإسرائيليين، ويعدّونهم خدماً لهم وعبيداً.

ووفقاً لهذا العموم، استظهر موسى عليه السلام أنَّ الإسرائيلي مظلومٌ ومعتدى عليه في هذه الخصومة، وقد يكون الأمر كذلك في الواقع، فهبّ موسى عليه السلام عند استغاثته به لنجدته ودفع الظلم عنه، ولهفة المظلوم ونجدة المستغيث من أبرز صفات الكرام، ولم يكن في هذه النجدة قاصداً لقتل القبطي أصلاً.

وكان موسى عليه السلام ـ كما في الخبر[1] ـ قد أعطي بسطة في الجسم، فوكز القبطيَّ بكفّه؛ بقصد ردعه عن البغي؛ فخرّ على الأرض ميّتاً.

ولو كان موسى عليه السلام قاصداً للقتل لكان حقّ الكلام أنْ يقول: «**فاستغاثه الَّذي هو من شيعته على الذي من عدوّه فقتله موسى**»، كما لا يخفى على كلّ ممارسٍ للغة العرب.

ثمّ إنَّ اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لا يرجع إلَى عمل موسى عليه السلام، بل هو راجعٌ إلَى الشجار والقتال الذي وقع بين القبطي والإسرائيلي؛ فيكون المعنى: إنَّ القتال والمشاجرة مصدرهما وسوسة الشيطان وإغوائه.

وهذا التفسير المذكور له شواهد من القرآن والأخبار، والسعي لإثباته يخرجنا عن محلّ الكلام، ما دامت الشبهة مدفوعةٍ على كِلا احتمالي المعنى.

والوجه في دفعه على هذا التفسير، أنَّه من الممكن أنْ نقتدي[2] برسول الله موسى عليه السلام؛ بما قام به من نصرة المظلوم، بمنع الظالم عنه، ولو قُتل الظالم الذي لا يستحقّ القتل بظلمه عن طريق الخطأ؛ فإنّنا لا نعاقب على ذلك.

(١) البحراني، هاشم: البرهان في تفسير القرآن، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، ط١، طهران، ١٤١٦هـ.ق، ج٤، ص٢٤٧.

(٢) بشرط أنْ لا نكون في مهمة تقتضي الاستتار، كما كان عليه موسى عليه السلام؛ ولذا طلب من ربّه أن يمنع عنه تبعات هذا الأمر الذي شاعٌ بين أفراد الجماعات المشايعة لفرعون. ولذا عدّ استغفار موسى عليه السلام من باب ترك الأولى، والتفصيل موكول إلَى محلّه.

وعلى هذا -أيضاً- يكون قياس أفعالهم على ما صدر من موسى الكليم عليه السلام قياساً مع الفارق.

خاتمة:

لا بد في الختام من الإشارة إلى وجود جوانب عديدة في مسيرة ما ذكرنا من الأنبياء عليهم السلام يمكن أن نستلهم منها مظاهر الدعوة إلى الأمن والسلام، بالإضافة إلى مسيرة غيرهم من الأنبياء العظام عليهم السلام التي تزهر بمظاهر الدعوة إلى الأمن والسلام، ولا سيما مسيرة حبيب الله ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث تعرّضت آيات عدّة في القرآن الكريم لمسيرته صلى الله عليه وآله وسلم، وما قام به من إصلاحات في المجتمع آنذاك، وما خطّه للإنسانية من برامج تهتدي بها في مسير تكاملها، وتنعم في كنفها بالأمن والسلام والعيش الرغيد. وكذلك مسيرة روح الله عيسى بن مريم عليه السلام وما نتج عنها من مظاهر أمن وسلام ومحبّة. وهي جميعها سيتمّ بحثها في مقالة أخرى بإذن الله تعالى.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ حالة الإرهاب التي تنطلق باسم الدين ليست منحصرة بالمسلمين فقط؛ حيث إنّ هناك جماعات من المسيحيين واليهود هم كالتكفيريين من المسلمين ينسبون أعمالهم إلى الأنبياء العظام عليهم السلام، كإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، مع كون منهج عمل الأنبياء عليهم السلام منزّه عن مجانسة تصرّفاتهم المشينة بحقّ الإنسان والمجتمع والدين.